مُتَشَابِهُ لَفْظِ الْقُرْآنِ فِي مَجَالَاتِ الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَحْمُودَةِ
"دِرَاسَةٌ اسْتِقْرَائِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ"

د/ محمّد رجب محمّد محمود عبد الجوّاد

مدرّس التّفسير وعلوم القرآن بكلّيّة أصول الدّين والدّعوة بالزّقازيق–

جامعة الأزهر – مصر

من ١٣ إلى ٧٠

The wording of the Qur’an is similar in the areas of praiseworthy human morals "An inductive and analytical study"

Dr/ Mohamed Ragab Mohamed Mahmoud Abdel Gawad
Instructor of interpretation and Quranic sciences at the Faculty of Fundamentals of Religion and Advocacy in Zagazig
Al-Azhar University - Egypt

مُتَشَابِهُ لَفْظِ الْقُرْآنِ فِي مَجَالَاتِ الأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ المَحْمُودَةِ
"دِرَاسَةٌ اسْتِقْرَائِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّة"

محمّد رجب محمّد محمود عبد الجوّاد
قسم التّفسير وعلوم القرآن ،كلّيّة أصول الدّين والدّعوة بالزّقازيق ، جامعة الأزهر – مصر.
البريد الإلكتروني: mohamedragab.89@azhar.edu.eg.

ملخّص البحث:

أنزل الله – تعالى – كتابه للنّاس؛ ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهداياته ودلالاته، وليتّعظ به أصحاب العقول الصّحيحة، والبصائر النَّيِّرة، حيث يقول تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١]، ومن العلوم التي تُساعِد على تمكين حفظه، ومزيد تدبّره، واستخراج كُنُوزِه ودُرَرِه، علم المتشابه اللفظي الذي اهتمّ علماؤه بتوضيح سبب اختلاف التّعبير القرآني من موضع لآخر، وإبراز بلاغة التّعبير القرآني في كلّ موضع من المواضع، وإبطال مزاعم التّكرار في النّصّ القرآني.

ويهدف هذا البحث إلى تأصيل مفهوم متشابه اللفظ في اللغة والاصطلاح، واستقراء متشابه لفظ القرآن في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة؛ لإثبات تنوّعها؛ وتوجيه الفرق بينها، ووجه الحكمة في كلّ موضع، وبهذا يتّضح بلاغة التّكرار في متشابه لفظ القرآن في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، وأنّه ما من تكرار إلا وله فائدة وعلّة ومِنْ ورائه حكمة، وكذب المُتَخَرِّصين على القرآن الكريم والمُفتَرين عليه؛ بسبب ما فيه من متشابه لفظ.

الكلمات المفتاحية: متشابه؛ لفظ؛ القرآن؛ في؛ مجالات؛ الأخلاق؛ الإنسانيّة؛ المحمودة.

---

(١) سورة ص، آية رقم: ٢٩ .

The wording of the Qur'an is similar in the areas of praiseworthy human morals "An inductive and analytical study"

Mohamed Ragab Mohamed Mahmoud Abdel Gawad
Department of Interpretation and Quran Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Propagation in Zagazig - Al-Azhar University – Egypt.
Email: mohamedragab.89@azhar.edu.eg

Abstract:

God Almighty revealed His Book to the people. So that they may reflect on its verses, and act on its guidance and implications, and so that those with sound minds and bright insights may be advised by it, as God Almighty says: "A book which We have sent down to you, blessed, that they may contemplate its verses and that those of understanding may remember" - Surah cad, Verse No.: 29 -, and among the sciences that help to enable its memorization are, Further contemplating it, and extracting its treasures and pearls, is the science of verbal similarities, whose scholars were interested in clarifying the reason for the difference in Quranic expression from one place to another, highlighting the eloquence of the Quranic expression in each of the places, and invalidating the claims of repetition in the Quranic text.

This research aims to establish the concept of similar words in language and terminology, and to extrapolate the similar words of the Qur'an in the areas of praiseworthy human morals. To demonstrate its diversity; And directing the difference between them, and the face of wisdom in every place, and in this way the eloquence of repetition in similar words of the Qur'an becomes clear in the areas of praiseworthy human morals, and that there is no repetition except that it has a benefit and a reason and behind it is wisdom, and the lies of those who specialize in the Holy Qur'an and those who slander it; Because of its similar pronunciation.

Keywords: Similar; Pronunciation; The Quran; In; Fields; Moral; Humanity; Al-Mahmouda.

مقدّمة:

الحمد لله ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[١] ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٢]، وصلاةً وسلامًا على من تَنزّل القرآن على قلبه ليكون ﴿مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٣]، وعلى آله وصحبه أجمعين، ثمّ أمّا بعد،،،

فلمّا كان لدراسة متشابه لفظ القرآن أهميّة كبرى في إظهار إعجاز القرآن وبلاغته وفصاحته، وردٌّ على طعن الطاعنين وكذب المفترين على القرآن الكريم، جاءت فكرة هذا البحث الذي يتناول بلاغة التّكرار في متشابه لفظه في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، ووجه الحكمة في كلّ مجال من خلال استقراء وتحليل بعض آياته.

- الدراسات السّابقة:

القرآن الكريم يَعُجُّ بالموضوعات الكثيرة التي تعود على النّاس بالنفع في الدّارين؛ لذلك حُقَّ له أن يكون ملتقى الباحثين، ومن خلال بحثي عمّن كتب في هذا الموضوع؛ فلم أجد – فيما علمت – دراسة مُوسَّعة تحدّثت عن هذا الموضوع اللهم إلّا إشارة يسيرة لا تتجاوز خمس صفحات لشيخنا وأستاذنا فضيلة الأستاذ الدكتور/ السيّد اسماعيل علي سليمان، في كتابه: "متشابه القرآن الكريم، دراسة نظريّة وتطبيقيّة"، وقد اقتصر شيخنا فيها على ذكر المجال الخلقيّ فقط وأمثلته من القرآن دون توجيه أو شرح؛ لكنّ بحثي يقوم بالأساس على الوقوف على أسرار المتشابه وعلله.

- أهميّة الموضوع وأسباب اختياره:

١- تَعَلُّق موضوع البحث بالقرآن الكريم وتفسيره.

٢- يُعِين حفظة كتاب الله – تعالى – على ضبط حفظهم، ورسوخ الآيات المتشابهة في قلوبهم، لا سيَّما آيات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة.

---

(١) سورة الزّمر، من الآية رقم: ٢٣ .
(٢) سورة هود، من الآية رقم: ١ .
(٣) سورة الشّعراء، من الآيتين رقم: ١٩٤، ١٩٥ .

٣- تدبّر كلام الله ﷻ وفهمه جيّدًا؛ للوقوف على توجيه الفرق بين الآيات المتشابهات في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة.

٤- يعدّ علم المتشابه دليلًا على إعجاز القرآن وفصاحته وبلاغته.

٥- يعدّ علم المتشابه اللفظي دليلًا على صدق النبيّ محمّد ﷺ؛ وكماله في أخلاقه؛ حيث تتجلى الصّور البديعيّة والمعاني العظيمة والأخلاق الكريمة مطويّة في ثناياه، مع أنّه ﷺ أمّي لم يقرأ ولم يكتب.

٦- الردّ على الطاعنين والمُتخَرِّصين في كتاب الله ﷻ الذين يدَّعون أنّ القرآن به تكرار لا هدف له؛ فيُثبِت علم المتشابه اللفظي بلاغة التّكرار، ووجه الحكمة في كلّ موضع، وبخاصّة في مجال البحث.

٧- يعين علم المتشابه اللفظي على المحافظة على علوم القرآن؛ وذلك لأنّ البحث في أوجه التشابه ومحاولة توجيهها يحتاج إلى النّظر في اللغة والنّحو والبلاغة وأصول الفقه .. وغيرها، فكان المتشابه اللفظي بذلك سببًا في تحصيل علوم كثيرة.

٨- البحث عن توجيه المتشابه يستلزم إمعان الفكر وإنعام النّظر، وهذا يُعطِي الباحثين الدَّرَبة والمهارة في تتبّع الأسرار والعلل.

٩- توسعة نظر المُفسّر في كتاب الله ﷻ؛ حيث إنّ البحث في المتشابه وأسراره يستدعي النّظر في كلّ ما يتعلّق بالآية من مقام وسبب نزول وسياق ولغة.. .

١٠- يجعل الباحث ممتلئًا بقدرة الله ﷻ وعظمته؛ حين يجتهد في الوقوف على أسرار كتابه ودقّة معانيه وأسلوبه ووجوه إعجازه.

١١- علم المتشابه اللفظي يجعل الباحث يتيقن أن علمه قليلٌ؛ لأنّ الباحث مهما حاول توجيه المتشابه لابدّ أن يقف عند بعض المواضع قائلًا: الله أعلم بمراده، أو يقولها بعد توجيهه لبعض المواضع.

١٢- التأمّل في كتاب الله ومدارسة علله وأسراره ودقائق معانيه؛ يمنح العبد بركة، وثوابًا كبيرًا، وفضلًا عظيمًا عند الله ﷻ.

○ أهداف البحث:

١- استقراء آيات القرآن الكريم المتشابهة والمرتبطة بمجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة.

٢- الوقوف على أسرار التّكرار في هذه الآيات ودراستها دراسة تحليليّة في بحث واحد كجانب من جوانب علوم القرآن ووجهًا من وجوه إعجازه.

٣- خدمة كتاب الله – تعالى – طمعًا لمغفرته ورغبة في الأجر والثّواب.

○ خطّة البحث:

يتكوّن البحث من مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، ذكرت في المقدّمة الدّراسات السّابقة، وأهميّة الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطّته، ومنهجه.

أمّا المبحث الأوّل: فتحدّثت فيه عن تعريف متشابه اللفظ في اللغة والاصطلاح.

وأمّا المبحث الثّاني: فخصّصته لبيان متشابه اللفظ في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: متشابه اللفظ في مجال الصّدق.

المطلب الثّاني: متشابه اللفظ في مجال الصّبر.

المطلب الثّالث: متشابه اللفظ في مجال العفو والصّفح.

المطلب الرّابع: متشابه اللفظ في مجال الوفاء بالعهد والأمانة.

المطلب الخامس: متشابه اللفظ في مجال العدل.

المطلب السّادس: متشابه اللفظ في مجال الشّكر.

المطلب السّابع: متشابه اللفظ في مجال الإحسان.

ثمّ ذيّلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهمّ ما توصّلت إليه من نتائج، وتوصيّات.

○ منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج الاستقرائي التّحليلي، وقد عنيت فيه ببيان مفهوم مُتشابه لفظ القرآن في اللغة والاصطلاح استنادًا إلى ما ورد في المعاجم اللغويّة والكتب الاصطلاحيّة، واستقرأت آيات القرآن الكريم في متشابه لفظه في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، وقمت بتحليلها وبيان أسرارها وعللها والوقوف على بلاغة التّكرار في كلّ موضع، مُستعينًا في ذلك بأمّات كتب التّفاسير وعلوم القرآن، وبعض التّفاسير الحديثة.

والله أسأل أن تكون هذه الدراسة إضافة نافعة للدّراسات القرآنية، وأن ينتفع بها الباحثون.

الباحث عفا الله عنه:

محمّد رجب محمّد محمود عبد الجوّاد

المبحث الأوّل

تعريف متشابه اللفظ في اللغة والاصطلاح.

وقبل أن نبدأ بالحديث عن متشابه لفظ القرآن في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة يَجدُر بنا أن نُمَهِّد لذلك بالبحث عن تعريف متشابه اللفظ في اللغة والاصطلاح كما يلي:

- **تعريف متشابه اللفظ في اللغة:**

مصطلح متشابه اللفظ يتكوّن من لفظتين، هما: متشابه، واللفظ، وتشير المعاجم اللغويّة إلى أنّ كلمة متشابه تعني: المشاركة في الأوصاف، والمماثلة، والمشاكلة التي تُؤدِّي إلى الالتباس.

فقد جاء في لسان العرب أنّ "الشِّبْهَ والشَّبَهَ والشَّبِيهَ: المِثْل، والجمع أشباه، وأَشْبَه الشّيء الشّيء: ماثله، وتشَابَه الشّيئان واشتَبَها: أَشْبَه كلّ واحد منهما صاحبه، وفي التّنزيل: ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[١]، والمُشْتَبِهات من الأمور: المُشكلات، والمتشابهات: المتماثلات، والتّشبيه: التّمثيل، والشُّبْهة: الالتباس، وأمور مُشْتَبِهة ومُشَبِّهَة: مُشْكِلَة يشبه بعضها بعضا، وشَبَّه عليه: خَلَّط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره"[٢].

وجاء في معجم مقاييس اللغة أنّ: "الشَّبَه: يدلّ على تشابه الشّيء وتشاكله لونًا ووصفًا، يقال: شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ، والشَّبَهُ من الجواهر: الذي يُشبِه الذّهب، وَالمُشَبِّهَات من الأمور: المُشكِلَات، واشْتَبَه الأمران، إذا أُشكِلا"[٣].

---

(١) سورة الأنعام، من الآية رقم: ٩٩ .
(٢) لسان العرب، للعلّامة: ابن منظور (المتوفّى: ٧١١هـ)، ٥٠٣/١٣، ٥٠٤، حرف الهاء، فصل الشّين المعجمة، بتصرّف واختصار، طبعة: دار صادر – بيروت.
(٣) معجم مقاييس اللغة للإمام ابن فارس الرّازي، (المتوفّى: ٣٩٥هـ)، ٢٤٣/٣، باب: الشّين والباء وما يثلّثهما، مادة: شَبَهَ، طبعة: دار الفكر.

وأمّا لفظة اللفظ: فتَعنِي عند العرب: "طرح الشّيء; وغالب ذلك أن يكون من الفمّ، تقول: لفَظَ بالكلام يَلْفِظُ لَفْظًا، ولَفَظْتُ الشّيء من فمي، وهو شيء مَلْفُوظٌ ولَفِيظٌ"(١)؛ فكلمة اللّفظ تَعنِي إذن: التلفّظ بكَلِم القرآن المتشابه.

والتّعريف الاصطلاحيّ لا يختلف كثيرًا عن التّعريف اللغوي؛ فيُستمدّ منه، فإذا كان المعنى اللغوي للمتشابه هو المشاركة في الأوصاف، والمماثلة، والمشاكلة التي تُؤدِّي إلى الالتباس؛ ومعنى اللفظ هو إلقاء كَلِم القرآن من الفمّ؛ فإنّ متشابه اللفظ في الاصطلاح هو التّلفّظ بالآيات المتشاركة في الأوصاف، والمتماثلة في الكلمات والألفاظ، والتي يَشكُل على البعض فهمها بسبب عدم إمعان الفكر وإنعام النّظر لعلل التّكرار وأسراره وفوائده؛ فيظنّها تكرار لا فائدة منه.

- **تعريف متشابه اللفظ في الاصطلاح:**

لقد تعدّدت التّعاريف التي قيلت بشأن مصطلح متشابه اللفظ؛ فكان أوّل من عرّفه الإمام الطّبريّ في تفسيره حيث يقول: "والمتشابه هو: ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التّكرير في السّور، بقَصّه باتّفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى"(٢).

وعرّفه الإمام الإسكافي؛ فقال: "هو تكرير بعض الآيات بالكلمات المتّفقة أو المختلفة، وحروفها المتشابهة، بأن تذكر الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد في أكثر من موقع، مع اختلاف في جوانب التّناول بين موقع وآخر، تقديمًا وتأخيرًا، أو تعريفًا وتنكيرًا، أو جمعًا وإفرادًا، أو إبدال كلمة بأخرى، أو حرف

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٢٥٩/٥، باب اللام والفاء وما يثلّثهما، مادة: لَفَظَ، بتصرّف.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للعلّامة: الطّبري (المتوفّى: ٣١٠هـ)، ١٧٨/٦، طبعة: مؤسّسة الرّسالة.

بآخر، وكثيرًا ما يتّصل هذا الاختلاف بمناسبة السّياق القرآني في عرض الآيات، وذكر الأحداث التي يشتمل عليها"[١].

وعرّفه الإمام الكرماني بأنّه: "الآيات المتشابهات التي تكرّرت في القرآن وألفاظها متّفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك، ممّا يوجب اختلافًا بين الآيتين، أو الآيات التي تكرّرت من غير زيادة ولا نقصان"[٢].

وعرّفه الإمام الزّركشيّ بقوله: "إيراد القصّة الواحدة في صور شتّى، وفواصل مختلفة، وَيَكثُر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التّصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ لِيُعْلِمَهُم عجزهم عن جميع طرق ذلك مُبتَدأً به ومُتَكَرِّرًا"[٣].

وعرّفه الإمام أبو البقاء بقوله: "ومن المتشابه: إيراد القصّة الواحدة في سور شتّى، وفواصل مختلفة في التّقديم والتّأخير، والزّيادة والتّرك، والتّعريف والتّنكير، والجمع والإفراد، والإدغام والفكّ، وتبديل حرف بحرف آخر"[٤].

فالحاصل إذن: أنّ هذه التّعريفات لا خلاف بينها؛ فقد جاءت مُتّفقة ومعناها واحد وهو: الآيات المتشابهات التي تكرّرت في القرآن الكريم لفظًا واختلفت في في المعاني، أو اتّفقت في المعاني واختلفت في الألفاظ، وجاءت في عرضها بأساليب بلاغيّة مختلفة من التّقديم والتّأخير، والزّيادة والتّرك،

---

(١) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، للعلّامة: الخطيب الإسكافي (المتوفّى: ٤٢٠هـ)، ١١/١، بتصرّف، طبعة: جامعة أمّ القرى.
(٢) أسرار التّكرار في القرآن المسمّى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، للعلّامة: الكرماني، (المتوفّى: نحو ٥٠٥هـ)، ص٦٣، طبعة: دار الفضيلة.
(٣) البرهان في علوم القرآن، للعلّامة: الزّركشي (المتوفّى: ٧٩٤هـ)، ١١٢/١، طبعة: دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابى الحلبي وشركائه.
(٤) الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، للعلّامة: أبي البقاء (المتوفّى: ١٠٩٤هـ)، ص٨٤٥، طبعة: مؤسسة الرّسالة – بيروت.

والتّعريف والتّنكير، والجمع والإفراد، والإدغام والفكّ، وتبديل حرف بحرف آخر.. بحسب ما يقتضيه السّياق والغرض الذي جاءت من أجله، والله أعلم.

* * *

المبحث الثّاني

متشابه اللفظ في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: متشابه اللفظ في مجال الصّدق.

المطلب الثّاني: متشابه اللفظ في مجال الصّبر.

المطلب الثّالث: متشابه اللفظ في مجال العفو والصّفح.

المطلب الرّابع: متشابه اللفظ في مجال الوفاء بالعهد والأمانة.

المطلب الخامس: متشابه اللفظ في مجال العدل.

المطلب السّادس: متشابه اللفظ في مجال الشّكر.

المطلب السّابع: متشابه اللفظ في مجال الإحسان.

المبحث الثّاني

متشابه اللفظ في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة.

القرآن الكريم يعجّ بالكثير من متشابه اللفظ في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، والتي منها مايلي:

المطلب الأوّل: متشابه اللفظ في مجال الصّدق:

تشابه في مجال الصّدق قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾[١] مع قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ ﴾[٢]وفي معناها في نفس السّورة بعدها قوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾[٣].

فللسّائل أن يسأل عن سبب التّشابه والاختلاف في التّعبير بين آية سورة المائدة وبين الآيتين الأخيرتين من سورة الأحزاب مع أنّ مجالهم الأخلاقيّ واحد وهو الحديث عن الصّدق والصّادقين؛ فقد عُدِّي الصّدق بحرف الجرّ "عَنْ" في قوله تعالى: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ ﴾، بينما تعدّى بحرف الجرّ "الباء" في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾.

ولعلّ السّبب في اختلاف التّعبير بين الآيتين الأخيرتين من سورة الأحزاب بزيادة حرف أو حرفين عن سابقتها من سورة المائدة هو المناسبة للموضوع وسياق ما جاءت فيه كلّ آية؛ فقد جاءت الجملة من آية سورة المائدة: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ مقولًا للقول في قوله تعالى قبلها: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾؛ فلم تحتج إلى التّعدية بحرف من حروف الجرّ، بالإضافة إلى أنّها جاءت مناسبة للسّياق؛

---

(١) سورة المائدة، من الآية رقم: ١١٩ .
(٢) سورة الأحزاب، من الآية رقم: ٨ .
(٣) سورة الأحزاب، من الآية رقم: ٢٤ .

فقد جاءت "عقب ما حُكِي ممّا يقع يوم يجمع الله الرّسل – عليهم الصّلاة والسّلام – وأُشير إلى نتيجته ومآله، أي: يقول الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة عقيب جوابه مشيرًا إلى صدقه في ضمن بيان حال الصّادقين الذين هو في زمرتهم، هذا يوم ينفع المُوحِّدين لله، والمُنقادين لشرعه، والصّادقين في أقوالهم وأفعالهم كعيسى عليه السلام"(١).

وأمّا قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾؛ فقد تعدّى بحرف الجرّ عن "لمناسبته للسّؤال؛ فالجار والمجرور مُتعلّق به؛ فهو من صلته، وتذييل الآية جاء للكافرين حيث قال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٢)"﴾(٣)، وجاءت في سياق الحديث عن أخذ الله العهد المُؤكَّد على أولي العزم من رسله الكرام أن يُبَلِّغوا رسالاته إلى النّاس، وأن يُصَدِّق بعضهم بعضًا، وأنّ الله سائلهم عن أمانات التبليغ إلى أقوامهم يوم القيامة، وأنّه سيُعِدّ للمكذّبين عذابًا شديدًا في جهنّم.

بينما تعدّى الصّدق بحرف الجرّ "الباء" في قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾؛ "لأنّ ﴿بِصِدْقِهِمْ ﴾ مُتعلِّق بالجزاء، وصلة له، والفاعل هو الله، وجاء بعده من الآية: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾"(٤)، بالإضافة إلى سياق ما جاءت به الآية؛ فقد تحدّثت عن غزوة الأحزاب وعن الرّجال الكثيرين من صحابة رسول الله ﷺ الذين أوفوا بعهودهم مع الله تعالى من النّصرة لرسوله ﷺ والثّبات معه في كلّ موطن، حتى استُشهِدُوا معه في الحروب أو ماتوا على الصّدق؛ فأثابهم الله على ذلك.

---

(١) إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلّامة: أبي السعود (المتوفّى: ٩٨٢هـ)، ١٠٣/٣، بتصرّف، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت.
(٢) يراجع في هذا المعنى: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص٢٠٦، بتصرّف.
(٣) سورة الأحزاب، من الآية رقم: ٨ .
(٤) يراجع في هذا المعنى: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص٢٠٦، بتصرّف.

فالحاصل إذن: أن أسلوب كلّ آية جاء مناسبًا لما تحدّثت عنه من موضوع وما جاءت فيه من سياق؛ فآية المائدة تحدّثت عن الصادقين بوجه عام ويدخل معهم دخولًا أوّليًّا نبيّ الله عيسى عليه السلام، وأنّ هذا الصّدق ينفعهم عظيم النّفع؛ فيدخلون جنان ربّهم، ويُخلَّدون فيها، وينعمون برضوانه، وأمّا قوله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾؛ فهو حديث عن صدق الأنبياء في تبليغ الرّسالات وما صَدّقوهم من المؤمنين، وأمّا الصّدق في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ فهو حديث عن صدق صحابة رسول الله ﷺ فيما عاهدوا به ربّهم من نصرة رسوله ﷺ في كلّ شيء حتى الاستشهاد في سبيل الله أو الموت على ذلك، والله أعلم.

المطلب الثّاني: متشابه اللفظ في مجال الصّبر:

تعدّدت الآيات التي تشابهت في مجال خلق الصّبر، والتي منها ما جاء في سورة النّحل من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1]؛ فقد تشابهت هذه الآية مع آية سورة العنكبوت بنفس اللفظ والمعنى في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2].

ولعلّ التّكرار في الآيتين بنفس اللفظ والمعنى الغرض منه التّأكيد على الصّبر في فراق الأوطان؛ فقد جاءت الآيتان في معرض الحثّ على الهجرة وترك الدّيار مِن أجل الله بعد وقوع الظّلم على المُهاجرين، وأمر الهجرة ليس بالأمر الهيّن على النّفوس؛ ففيه فراق للأهل والأوطان والأموال فى سبيل العقيدة، وهو أمر لا يتحمّله إلّا الرّجال؛ فأثنى عليهم الحقّ ﷻ في غير موضع لتحمّلهم المشاقّ فى سبيل عقيدتهم، وتفويضهم جميع أمورهم إلى الله – تعالى

(١) سورة النّحل، آية رقم: ٤٢ .
(٢) سورة العنكبوت، آية رقم: ٥٩ .

-؛ فرزَقهم من حيث لا يحتسبون، وفي ثقل الهجرة على النّفوس واحتياجها إلى مزيد من الصّبر حتى يستدعي تأكيدًا من الحقّ – سبحانه – جاء عن الأصمعي أنّه قال: "سمعت أعرابيًّا يقول: إذا أردت أن تَعرِف الرّجل فانظر كيف تحنّنه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه, وبكاؤه على ما مضى من زمانه"(١)، وجاء عن الشّيخ الغزالي – رحمه الله – أنّه قال في ذلك: "والبشر يألفون أرضهم على مَا بها، ولو كانت فقرًا مُستَوحِشًا، وحبّ الوطن غريزة متأصّلة في النّفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحنّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضَب له إذا انتقص"(٢)؛ فتراب الوطن شفاء، يقول الإمام الجاحظ في رسائله: "وكانت العرب إذا غَزَتْ وسَافَرَتْ حملتْ معها من تُربة بلدها رملًا وعَفَرًا تَستَنْشِقُه عند نَزْلة أو زُكَام أو صُداع"(٣).

وفي نفس المعنى جاء الأمر لنبيّنا ﷺ بالصّبر في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾(٤)، وقوله ﷻ: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٥)، وقوله ﷻ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(٦)، وقوله ﷻ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾(٧)، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعلّامة: إسماعيل العجلوني، (المتوفّى: ١١٦٢هـ)، ٤٠٠/١، طبعة: المكتبة العصريّة.
(٢) حقيقة القومية العربيّة وأسطورة البعث العربي، للشّيخ: محمّد الغزالي، ص٨٦، طبعة: نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
(٣) رسائل الجاحظ، (المتوفّى: ٢٥٥هـ)، ٣٩٢/٢، طبعة: مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٤) سورة يونس، آية رقم: ١٠٩ .
(٥) سورة هود، آية رقم: ١١٥ .
(٦) سورة النّحل، آية رقم: ١٢٧ .
(٧) سورة الكهف، آية رقم: ٢٨ .

بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[١]، وقوله عزّ من قال: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[٢]، وجاء على لسان لقمان الحكيم فيما وصّى به ابنه من قوله سبحانه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[٣]؛ فقد تشابهت هذه الآيات بنفس اللفظ في صيغة الأمر ﴿وَاصْبِرْ﴾ ممّا يوحي بالتّكرار.

ولعلّ السّبب في هذا التّشابه اللفظي في صيغة الأمر هو تثبيت قلب النبيّ ﷺ المرّة تلو الأخرى، وتسليةٌ له، وشحذٌ لهمّته، وأخذٌ على يديه حتى يتحمّل مشاقّ الدّعوة ومكارهها من اضطهاد وتعذيب وهجرة؛ فيستقبلها بقلب راض، ونفس مطمئنّة، وثقة في أنّ الله ناصره دينه ولوكره الكافرون.

أمّا قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ فهو أدب سامي، وتوجيه عالي، وتعليم من الله تعالى لنبيّه ﷺ "أن يحبس نفسه مع هؤلاء المؤمنين الصّادقين من أصحابه الكرام الذين يَدعون ربّهم بالغداة والعشيّ بذكرهم إيّاه بالتّسبيح والتّحميد والتّهليل والدّعاء والأعمال الصّالحة من الصّلوات المفروضة وغيرها، يريدون بفعلهم ذلك وجهه – سبحانه – لا يريدون عرضًا من عرض الدّنيا، ولا يَصرف عيناه بالنّظر عنهم ويتجاوزهم إلى غيرهم من الأغنياء الشّرفاء طمعًا في إسلامهم"[٤].

---

(١) سورة الطّور، آية رقم: ٤٨ .
(٢) سورة المزمّل، آية رقم: ١٠ .
(٣) سورة لقمان آية رقم: ١٧ .
(٤) جامع البيان، ٥/١٨، ٦، بتصرّف.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾؛ فهو صيّة من لقمان الحكيم لابنه أن يَصبر على محن الدّنيا وشدائدها وعلى أذى مَن يأمُرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؛ فهو صبر خاص ليس مُشابهًا لما قبله، وبالتّالي لا تكرار.

وجاء الأمر بالصّبر أيضًا مع صفته مُكرّران بنفس اللفظ على لسان نبيّ الله يعقوب عليه السلام في آيتين من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2] مع قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾[3].

ولعلّ ما جاء على لسان نبيّ الله يعقوب عليه السلام من قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ ﴾ وإن كان فيه تشابه لفظي بين الآيتين فإنّ المعنى فيهما مُختلِف والمُتَصبَّر عليه كذلك؛ فقول يعقوب عليه السلام في الآية الأولى: كان تعقيبًا على كلام أبنائه في ادعائهم أنّ الذّئب قد أكل أخاهم يوسف، وفي الآية الثّانية: كان ردًّا عليهم حينما أخبروه بفقدهم لأخيهم بنيامين واسترقاق ملك مصر له بسبب سرقته؛ فالآيتين ليس بينهما تشابه في المعنى؛ فالأولى صبرٌ على فقد يوسف، والثّانية صبر على فقد أخيه لأمّه وشبيهه بنيامين وأحبّ أبنائه إليه بعد يوسف عليه السلام.

أمّا التّشابه اللفظي بين القولين فالسّبب فيه ظنّ يعقوب عليه السلام بأبنائه أنّ ما فعلوه بيوسف عليه السلام هو نفس ما فعلوه ببنيامين؛ فسحب حكم الأوّل على الثّاني

---

(١) سورة يوسف، آية رقم: ١٨ .
(٢) سورة يوسف، آية رقم: ٨٣ .
(٣) سورة المعارج، آية رقم: ٥ .

وقال لهم فيه بنفس اللفظ كما قال في يوسف عليه السلام، فسلام الله على نبيّه يعقوب عليه السلام؛ فقد كان عظيم الرضا بقضاء الله وقدره وصبر صبرًا لا جزع فيه ولا شكوى لأحد، ودعا الله أن يردّ إليه أبنائه الثلاثة وهم يوسف وبنيامين وروبيل أخوهم الكبير، وكان قد تخلّف بعد حادثة بنيامين ولم يرجع إلى أبيه حتى يأذن له أبوه، أو يتمكّن من أخذ بنيامين والرّجوع به بإذن الله – تعالى –، يقول العلّامة ابن كثير في تفسيره: "قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف عليه السلام بدم كذب: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾؛ فلمّا جاءوا يعقوب وأخبروه بما يجري اتّهمهم، وظنّ أنّها كفعلتهم بيوسف عليه السلام، وقال بعض النّاس: لمّا كان صنيعهم هذا مرتّبا على فعلهم الأوّل، سحب حكم الأوّل عليه، وصحّ قوله: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾، ثمّ ترجّى من الله أن يردّ عليه أولاده الثّلاثة: يوسف وأخاه بنيامين، وروبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه، إمّا أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرّجوع إليه، وإمّا أن يأخذ أخاه خفية؛ ولهذا قال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحالي ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره"(١).

وأمّا قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ فإنّه فعل أمر للنبيّ ﷺ، وفاعله مستتر تقديره: "أنت"، ومفعوله ﴿ صَبْرًا ﴾، و﴿ جَمِيلًا ﴾ صفة، وهو مناسب لموضوعه وسياقه؛ فأنّه أمر من الحقّ ﷻ لحبيبه ﷺ أن يَتصبَّر صبرًا لا جزع فيه ولا شكوى لأحد غير الله – تعالى – على إعراض المشركين عن اتّباع الحقّ، وعلى استهزائهم بعذاب الله، واستبعادهم وقوع يوم القيامة، والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم للعلّامة: ابن كثير، ٤/٤٠٤، ٤٠٥، بتصرّف، طبعة: دار طيبة للنّشر والتّوزيع.

وفي مجال الاستعانة بالصّبر والصّلاة جاء الأمر بهما مُكرّرًا بنفس اللفظ في آيتين من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[١]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٢].

فقد جاءت الآية الأولى خطابًا لبني اسرائيل معطوفة بحرف العطف "الواو" على ما سبقها من أوامر لبني اسرائيل بأن يدخلوا في دين الإسلام ويتبعوا شرائعه وأن يستعينوا في كلّ أمورهم بالصّبر وإقامة الصّلاة..، وأمّا الآية الثّانية: فقد جاءت خطابًا للمؤمنين وهي "اعتراض مطنب ابتُدِئ به إعداد المسلمين لما هم أهله من نصر دين الله شكرًا له على ما خوّلهم من النّعم المعدودة في الآيات السّالفة من جعلهم أمةً وسطًا وشهداء على الناس، وتفضيلهم بالتوجّه إلى استقبال أفضل بقعة، وتأييدهم بأنهم على الحقّ في ذلك، وأمرهم بالاستخفاف بالظّالمين وأن لا يَخْشَوْهم، وتبشيرهم بأنّه أتمّ نعمته عليهم وهداهم، وامتنّ عليهم بأنّه أرسَل فيهم رسولًا منهم، وهداهم إلى الامتثال للأحكام العظيمة كالشّكر والذّكر، فإنّ الشّكر والذّكر بهما تهيئة النّفوس إلى عظيم الأعمال، من أجل ذلك كلّه أمرهم هنا بالصّبر والصّلاة، ونبّهَهَم إلى أنّهما عون للنّفس على عظيم الأعمال، فناسب تعقيبها بها، وأيضًا فإنّ ما ذَكَر من قوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾[٣] مُشعِر بأنّ أناسًا مُتَصدُّون لشغبهم وتشكيكهم والكيد لهم، فأُمِروا بالاستعانة عليهم بالصّبر والصّلاة"[٤].

فالحاصل إذن: أنّ الآية الأولى خطاب لبني اسرائيل والثّانية خطاب للمؤمنين؛ وبالتّالي لا تكرار، "ولعلّ ممّا يشهد بأفضليّة هذه الأمّة على غيرها

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٤٥ .
(٢) سورة البقرة، آية رقم: ١٥٣ .
(٣) سورة البقرة، من الآية رقم: ١٥٠ .
(٤) التّحرير والتّنوير للعلّامة: الطّاهر بن عاشور (المتوفّى : ١٣٩٣هـ)، ٥١/٢، ٥٢، النّاشر : الدار التّونسية للنّشر – تونس.

من الأمم، أنّ الله- تعالى- قد أمر بنى إسرائيل في الآية الأولى بالاستعانة بالصّبر والصّلاة فقال: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ إلا أنّه – سبحانه – قال لهم: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾؛ ليشعرهم بضعف عزائمهم عن عظائم الأعمال، ولم يقل – سبحانه – للمؤمنين ذلك في الآية الثّانية؛ للإيماء إلى أنّهم قد يَسّر لهم ما يَصْعُب على غيرهم، وأنّهم هم الخاشعون الذين استثناهم الله هنالك"(١).

وما أشار إليه أمامنا الأكبر في سبب تذييل الآيتين وأنّهما شهادة من الله تعالى بأفضليّة هذه الأمّة المحمّديّة على غيرها من الأمم هو ما ذكره العلّامة ابن الزّبير الغرناطي في توجيه التّشابه بين الآيتين؛ حيث قال "قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾، وقال بعد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

يُسأَل عمّا أَعقَب به فى كلّ الموضعين؛ فذيّل الأولى بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾، والثّانية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾؛ فكلا الإخبارين مناسب لقوله: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ فلا سؤال فى هذا، وإنّما يُسأَل عن تخصيص كلّ من الموضعين بما خُصَّ به اتباعا؟

والجواب عن ذلك: أنّ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ مُشِير إلى التّثاقل عنه، والتّكاسل الجاريين فى الغالب والأكثر، مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص، وذلك مناسب لحال بنى إسرائيل؛ فلمّا كان قوله تعالى فى الآية الأولى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ مُكتنِفا بأمر بني إسرائيل ونهيهم ناسب هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾، ولمّا كانت الآية الثّانية مُعَقِّبًا بها أمر

(١) التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، لإمامنا الأكبر وشيخ أزهرنا السّابق الأستاذ الدكتور: محمّد سيّد طنطاوي، ٣١٢/١، بتصرّف، طبعة: دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجّالة – القاهرة.

المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾، وحال من وُسِم بالإيمان حال رضى واستقامة ناسبهم وصفهم بالصّبر؛ إذ بالصّبر على الطاعات حصول الدّرجات؛ فجاء كلّ على ما يناسب ولم يكن ليلائم واحدا من الموضعين غير ما أُعقِب به، والله أعلم بما أراد"[١].

وجاء الأمر بالتّواصِي بالصّبر مُكرَّرًا في موضعين بنفس اللفظ والمعنى في قوله عزّ مَنْ قال: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٣].

ولعلّ السّبب في هذا التّشابه هو التّأكيد على أن يَتوَاصَوا النّاس فيما بينهم على طاعة الله، وعلى البعد عن معصيته، وعلى تحمّل الآلام والفتن والمصائب التي لا تخلوا منها الحياة، لا سيّما وأنّ النّفس جُبِلَت على تثاقل الطّاعات، وحبّ المعاصِي، واستقبال البلاء بسخط وجزع؛ فاحتاج الأمر إلى التّكرار بنفس اللفظ والمعنى حتى يكبح كلّ مؤمن لجام نفسه ويُوصِي بذلك غيره، والله أعلم بمراده.

المطلب الثّالث: متشابه اللفظ في مجال العفو والصّفح:

"العفو معناه: التّجاوز عن خطأ المخطئ ونسيانه، وأصله المحو والطّمس، مأخوذ من عَفَت الرّيح الأثر، إذا طَمَسَتْه وأزالته[٤]، والصّفح: هو ترك توبيخ المذنب، ومقابلة إساءته بالإحسان، فهو أعلى درجة من العفو[١]"[٢].

---

(١) ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التّنزيل للعلّامة: ابن الزبير الثّقفي الغرناطي، (المتوفّى: ٧٠٨هـ)، ٣٢/١، بتصرّف، طبعة: دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان.

(٢) سورة البلد، آية رقم: ١٧ .

(٣) سورة العصر، آية رقم: ٣ .

(٤) يراجع: مجمع بحار الأنوار في غرائب التّنزيل ولطائف الأخبار، للعلّامة: جمال الدّين، محمد طاهر الكجراتي (المتوفّى: ٩٨٦هـ)، ٦٢٧/٣، طبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدّثت عن خلق العفو والصّفح وتشابهت في ألفاظها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٤]، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٥]، وقوله عزّ من قال: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾[٦] مع قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[٧].

ولعلّ السّبب في تَكرَار العفو والصّفح في هذه الآيات هو التّأكيد على هذه الفضيلة، وترغيب النّاس على التّحلّي بها؛ فإنّها من مكارم الأخلاق، مع احتفاظ كلّ موضع فيها بما اختُصَّ به من حثّ على العفو والصّفح حسب موضوع الآية وسياقها؛ فقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾؛ إنّما هو حثّ على العفو والصّفح مع اليهود الذين تَمنَّوا وأحبُّوا أن يَردُّوا المسلمين من الإسلام إلى الشّرك حسدًا عليهم وبغضًا لدينهم بعدما ظهر لهم أنّهم على الحقّ باتباع محمّد ﷺ؛ فمقصود الآية إظهار أنّ المسلمين مُستودع للأخلاق الفاضلة؛ فعليهم أن يُقابِلوا أحقادهم وشرورهم بترك عقابهم، والإعراض عن أذاهم، حتى يستنفذوا كلّ وسيلة معهم ومن ثمّ يأذن الله تعالى فيهم بالقتال، وهو ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾.

---

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، للعلّامة: الكفوي (المتوفّى: ١٠٩٤هـ)، ص٥٦٢، طبعة: مؤسسة الرّسالة – بيروت.
(٢) الوسيط للدكتور: طنطاوي، ١٠٢/١٠، بتصرّف.
(٣) سورة البقرة، من الآية رقم: ١٠٩ .
(٤) سورة النّور، من الآية رقم: ٢٢ .
(٥) سورة التّغابن، من الآية رقم: ١٤ .
(٦) سورة النّساء، آية رقم: ١٤٩ .
(٧) سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٣٧ .

أمَّا قوله سبحانه: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ فإنّها نزلت على ما صحّ في شأن أبى بكر ﷺ عند ما أقسم أن لا يُعطِى مسطح بن أثاثة شيئًا من النّفقة أو الصّدقة بعدما قال في أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ما قال؛ وكان ينفق على مسطح لقرابته؛ فقال بكر ﷺ: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا؛ فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]؛ فقال أبو بكر ﷺ: بلى والله إني أحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النّفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا..[2]؛ فالآية تحريض وترغيب على العفو والصّفح، ولو قُوبِل بالإساءة.

وأمَّا قوله ﷻ في سورة التّغابن: ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، فإنّه عفو وصفح مخصوص بالزّوج والأولاد إذا همّ المرء أن يعاقبهم إزاء صدّهم عن سبيل الله وتثبيطهم له عن طاعته ﷻ؛ فقد نزلت الآية على ما قال غير واحد من العلماء: "في رجال أسلموا من أهل مكّة وأرادوا أن يأتوا النّبيّ ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهُم أن يَأتُوا رسول الله ﷺ، فلما أَتَوْا رسول الله ﷺ رأوا النّاس قد فَقُهُوا في الدّين همّوا أن يُعَاقِبُوهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]"[1]، ومع ذلك فإنّ العبرة

---

(١) سورة النّور، آية رقم: ٢٢ .

(٢) أورده الإمام الواحدي في "أسباب نزول القرآن"، ص٣٢٩-٣٣٢، بتصرّف واختصار، طبعة: دار الكتب العلميّة – بيروت، وأخرجه الإمام البخاري بلفظه من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ﷺ، عن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ - [سورة النّور، آية رقم: ١٦] -، ١٠١/٦، ورقمه: ٤٧٥٠ . (صحيح البخاري، طبعة: دار طوق النّجاة - مصوّرة عن السلطانيّة بإضافة ترقيم: محمّد فؤاد عبد الباقي).

(٣) سورة التّغابن، آية رقم: ١٤ .

بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب؛ فعلى المسلم أن يَحذَر من زوجه وولده، وأن يتجاوز عن سيّئاتهم ويُعرِض عنها، ويسترها عليهم، إنّه – سبحانه – غافر الذّنب لعباده واسع الرّحمة بهم.

وأمّا قوله عزّ من قال في سورة النّساء: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ فإنّ معناها: "إن تقولوا جميلًا من القول لمن أحسن إليكم؛ فتظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان منه من حسن إليكم، أو تتركوا إظهار ذلك فلا تُبدُوه، أو تَصفَحُوا لمن أساءَ إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسّوء من القول الذي قد أذنت لكم أن تجهروا له به، فإنّ الله – تعالى – كان ولم يزل ذا عفوٍ عن خلقه، يَصفَح عمّن عصَاه وخالف أمره، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه؛ فاعفوا أنتم أيضًا أيّها النّاس عمّن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسّوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربّكم مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره"[٢]، وعليه فانّ العفو عمّن أساء في الآية جاء "جريا على ما دارت عليه سورة النّساء من خصوص طرف الخير وعمل البرّ، وما تردّد فيها من إصلاح ذات البَيْن، والنّدب إلى العفو والتّجاوز عن السيّئات، ووصيّته – تعالى – لمقتسمى الميراث فيمن حضره من ذوى القربى وذوى الحاجات أن يُعطوهم شيئًا من الميراث؛ فقال: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[٣]، وقوله فى النّساء: "﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[١]،

---

(١) ذكره الإمام الواحدي في "أسباب النزول"، ص٤٥٤، ٤٥٥، وأخرجه الإمام التّرمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما -، في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ومن سورة التّغابن، ٢٧٦/٥، ورقمه: ٣٣١٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح (سنن التّرمذي (المتوفّى: ٢٧٩ هـ)، طبعة: دار الغرب الإسلامي - بيروت)، وكذا الحاكم في المستدرك، من حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما -، كتاب التّفسير، تفسير سورة التّغابن، ٥٣٢/٢، ورقمه: ٣٨١٤، وصحّحه، ووافقه الإمام الذّهبي في التّلخيص (المستدرك على الصحيحين، للعلّامة: الحاكم (المتوفّى: ٤٠٥ هـ)، طبعة: دار الكتب العلميّة - بيروت).

(٢) جامع البيان، ٣٥٠/٩، ٣٥١، بتصرّف واختصار.

(٣) سورة النّساء، آية رقم: ٨ .

وقوله: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ ﴾[٢].. ، ومن هنا لم يَتعَرَّض فيها لأحكام الطلاق وإن كانت السّورة مبنيّة على أحكام النّساء، لكن خَصَّ من ذلك ما فيه التآلف والإصلاح وما يرجع إلى ذلك؛ فنُوسِب بهذا الخصوص خصوص ما تكرّر فى السّورة بما ذُكِر من العفو وما يحرزه"[٣].

وأمّا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾؛ فإنّه ترغيب من الله – تعالى – في العفو والمعروف، وحثّ على الفضل من جانب الرّجل تجاه المرأة إذا عقد عليها ولم يَدخل بها، وكان قد سَمَّى المهر؛ ففي هذه الحالة لها نصف المهر إلّا أن تتنازل عنه، والرجل كذلك، أو يُسامِح الرّجل في المهر كلّه؛ فذلك أقرب لتقوى الله تعالى، ونشرًا للإحسان والفضل والتّسامح في الحقوق والواجبات بين المسلمين، والله أعلم.

المطلب الرّابع: متشابه اللفظ في مجال الوفاء بالعهد والأمانة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ "الأمانة والعهد يجمعان كلّ ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولًا وفعلًا، وهذا يعمّ معاشرة النّاس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به، والأمانة أعمّ من العهد، وكلّ عهد فهو أمانة فيما تقدّم فيه قول أو فعل أو مُعتَقَد"[٤].

"والعهد: التزام بين اثنين أو أكثر على شيء يعامل كلّ واحد من الجانبين الآخر به، وسُمِّي عهدًا؛ لأنّهما يتحالفان بأن يكون الله رقيبًا عليهما في ذلك، والوفاء بالعهد من أعظم الخلق الكريم؛ لدلالته على شرف النّفس، وقوّة العزيمة، فإنّ المَرْأَين قد يلتزم كلّ منهما للآخر عملًا عظيمًا؛ فيصادف أن

---

(١) سورة النّساء، من الآية رقم: ١٩ .
(٢) سورة النّساء، من الآية رقم: ٦٣ .
(٣) ملاك التّأويل، ١١٣/١، ١١٤، بتصرّف واختصار، ويراجع: درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، ١٤٣/١، ١٤٤ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للعلّامة: القرطبيّ (المتوفّى: ٦٧١هـ)، ١٠٧/١٢، طبعة: دار الكتب المصريّة – القاهرة.

يتوجّه الوفاء بذلك الالتزام على أحدهما؛ فيصعب عليه أن يتجشّم عملًا لنفع غيره بدون مقابل ينتفع به هو؛ فتسوّل له نفسه الختر بالعهد شحًّا أو خورًا في العزيمة، فلذلك كان الوفاء بالعهد علامة على عظم النّفس، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[١].

والأمانة: تكون غالبًا من النّفائس التي يخشى صاحبها عليها التّلف؛ فيجعلها عند من يظنّ فيه حفظها، وفي الغالب يكون ذلك على انفراد بين المؤتمن والأمين، فهي لنفاستها قد تغري الأمين عليها بأن لا يردها وبأن يجحدها ربّها، ولكون دفعها في الغالب عَرِيًّا عن الإشهاد تبعث محبّتها الأمين على التّمسك بها وعدم ردها؛ فلذلك جعل الله ردها من شعب الإيمان"[٢].

وقد جاء خلق الوفاء بالعهد، والتّوصية بحفظ الأمانات في كثير من آي الذّكر الحكيم، وتكرّر ذكرهما – العهد والأمانات – بنفس لفظيهما ممّا يوحي بالتّكرار في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٤]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٥]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[٦].

ولعلّ السّبب في هذا التّشابه اللفظي في هاذين الخُلُقَين هو التّأكيد، وبيان عظمة قدر الأمانة والعهد، حيث يقول العلّامة الغرناطي في ذلك: "وأمّا الوفاء

(١) سورة الإسراء، من الآية رقم: ٣٤ .
(٢) التّحرير والتنوير، ١٦/١٨، ١٧ .
(٣) سورة الرّعد، آية رقم: ٢٠ .
(٤) سورة النّحل، آية رقم: ٩١ .
(٥) سورة النّحل، آية رقم: ٩٥ .
(٦) سورة الإسراء، آية رقم: ٣٤ .

بالعهد فلاحقٌ بالأمانة في نصاب التّأكيد، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾، وتكرّر الأمر بذلك؛ لعظيم قدر الأمانة والعهد"(١).

فأمّا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ فمعناه: "إنّما يتذكّر أولوا الألباب، الذين من صفاتهم أنّهم يوقنون بعهد الله – تعالى –، بأن يؤدّوا كلّ ما كلّفهم بأدائه، ويجتنبوا كلّ ما أمرهم باجتنابه، ولا ينقضون شيئًا من العهود والمواثيق التي التزموا بها"(٢)؛ فالمراد التّشديد والتّأكيد على وفاء النّاس بعهودهم مع الله بمقتضى فطرتهم وتكوينهم وتوثيق عقودهم وعهودهم، ولا ينقضوها بحال من الأحوال لا مع الله ولا مع العباد حيث عاهدوهم باسم الله تعالى، والله أعلم.

ومَا قوله ﷻ في سورة النّحل عن سابقه ببعيد في المعنى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ فإنّ المعنى: "وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتّموه؛ فأوجبتم به على أنفسكم حقًّا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه، ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه بالأَيْمَان، فترجعوا فيها بعدما شدّدتم الأَيْمَان على أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتّم عليه على أنفسكم راعيًا يرعى المُوفِى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به، إنّ الله عليم بكلّ ما تفعلوه وسيجازيكم عليه"(٣)؛ فالمراد الوفاء بكلّ عهد أوجبه الإنسان على نفسه بينه وبين الله والنّاس.

وأمّا قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فإنّ معناها: "ولا تأخذوا فى مقابلة نقض العهد عوضًا يسيرًا من الدّنيا، وقد كان هذا حال قوم ممّن أسلموا بمكّة، زيّن لهم الشيطان أن ينقضوا ما بايعوا رسول الله ﷺ عليه، جزعًا ممّا رأوا من غلبة قريش، واستضعافهم

---

(١) ملاك التّأويل، ٣٦٥/٢، بتصرّف.
(٢) التّفسير الوسيط للدكتور: طنطاوي، ٤٦٩/٧، ٤٧٠ .
(٣) جامع البيان، ٢٨١/١٧، بتصرّف.

للمؤمنين، وإيذائهم لهم، ولِمَا كانوا يَعِدُونَهم به من البذل والعطاء إن هم رجعوا إلى دينهم؛ فنبّههم الله بهذه الآية ونهاهم عن أن يستبدلوا الخير العميم والنّعيم المقيم فى الآخرة بما وعدوهم به من عرض الدّنيا وزينتها"[١]؛ فالمقصود الثّبات على الوفاء بالعهد مهما عظم البلاء، وكثرت المُغريات، رجاءً فيما عند الله تعالى من خير عميم ونعيم مقيم دائم.

وأمّا قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾؛ فإنّ المقصود منه عدم المساس بمال الأيتام الذين مات آباؤهم وهم دون سنّ البلوغ إلّا بالتّثمير والتّنمية، فإذا بلغوا رُدّ المال إليهم؛ فعلى كلّ عاهد الوفاء بما عاهد؛ فالعهد يُسأل عنه العبد أمام الله ﷻ يوم القيامة، والله أعلم.

وأمّا الأمانة فقد تكرّر ذكرها بجانب العهد في موضعين بنفس اللفظ والمعنى في سورة "المؤمنون" من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾[٢]، وفي سورة المعارج من قوله عزّ مَن قال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾[٣].

ولعلّ السّبب في "توارد الاتّفاق والتّساوي في السّورتين على ذكر حفظ الفروج، والأمانة والعهد، والمحافظة على الصّلاة هو أنّ حفظ الفروج أحد الأصول الخمسة التي اتّفقت فيها الشّرائع، ولم يخالف فيها أحد من العقلاء، وهي: حفظ النّفوس، والأموال، والفروج، والعقول، والأعراض، وأمّا الأمانة فلا يتمّ حفظ هذه الخصال إلّا بها، فهي الأصل لتلك الأصول، والضّابط لجميع التّكاليف، وزمام الأديان، وهي التي عُرِضَت على السماوات والأرض والجبال فأبت عن حملها، وهي بالجملة ملاك الدين، وأمّا الوفاء بالعهد فلاحقٌ بالأمانة في نصاب التّأكيد.

---

(١) تفسير المراغي (المتوفّى: ١٣٧١هـ)، ١٣٧/١٤، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.
(٢) سورة المؤمنون، آية رقم: ٨ .
(٣) سورة المعارج، آية رقم: ٣٢ .

ألا ترى أنّ أفعال المكلفين من الأحكام الخمسة وهي: الواجب، والمحظور والمندوب، والمكروه، والمباح، كلّ ذلك داخل تحت ضابط الأمانة، والوفاء بالعهد، ومن أوفى بما عَهِد عليه الله في أمانة فقد أتى ووفَّي بجميع التكاليف الشرعية أخذًا وتركًا"(١).

وأمّا وجه اختصاص سورة المعارج بقوله تعالى بعدها: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾(٢)؛ "فلأنّ الشّهادة داخلة تحت الأمانة، ولأنّها الثّانية في التّرتيب الثّابت؛ فاستوفت وأكّدَت ما أُشير إليه في سورة المؤمنين"(٣).

ومال العلّامة الخطيب الإسكافيّ إلى مراعاة سياق ما جاءت فيه آية سورة المعارج في سبب التّخصيص؛ فقال: "ثمّ خَصَّ الآية في سورة المعارج بما أَجْرَى عليه الآيات قبلها من المبالغة في الطّاعات التي تضمّنت ذكرها؛ فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ أي: يُؤدُّون بعد الأمانات التي هي في رقابهم ونِمَمِهم الأمانات التي فى ذمم غيرهم وثباتها بشهاداتهم، فوصف من يُؤَدِّي الأمانات التي تخصّه إلى مستودعيها على غيرهم؛ فكان من المبالغة التي تقتضيها الآيات المُتقَدِّمة ذِكْر الشّهادات عُقَيْب أداء الأمانات"(٤).

وارتأى الإمام الكرماني أنّ إقامة الشّهادة من جملة الأمانات؛ فهي إذن زيادة بيان لها في المعارج عمّا هي عليه في المؤمنين؛ فقال: "وعُقَيْب ذكر الخصال المذكورة أوّل سورة المعارج، وزاد فيها: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾؛ لأنّه وقع عُقَيب قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ فإقامة الشّهادة أمانة يُؤَدّيها إذا احتاج إليها صاحبها لإحياء حق؛ فهي إذن من جملة الأمانة، وقد ذُكِرَت الأمانة في سورة المؤمنين، وخُصَّت هذه السّورة بزيادة بيانها"(٥).

---

(١) ملاك التّأويل، ٣٦٤/٢-٣٦٧، بتصرّف واختصار.
(٢) سورة المعارج، آية رقم: ٣٣ .
(٣) ملاك التّأويل، ٣٦٧/٢، بتصرّف.
(٤) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، ١٣٠١/١، ١٣٠٢، بتصرّف.
(٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، ص٢٤٠ .

وقد جمع الحقّ ﷻ " بين رعي الأمانات، ورعي العهد؛ لأنّ العهد كالأمانة؛ فالذي عاهدك قد ائتمنك على الوفاء بما يقتضيه ذلك العهد"(١)، والله أعلم.

المطلب الخامس: متشابه اللفظ في مجال العدل:

تشابه في مجال العدل قول الله تعالى من سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢) مع قوله تعالى من سورة النّساء: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٣)؛ فقد أُخِّر قوله تعالى: ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ عن قوله: ﴿ لِلَّهِ شُهَدَآءَ ﴾ في سورة المائدة، وقُدِّم في سورة النّساء: ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ عن قوله تعالى: ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾.

ولعلّ السّبب في تأخير ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ عن قوله: ﴿ لِلَّهِ شُهَدَآءَ ﴾ في سورة المائدة وتقديمه عليه في سورة النّساء، "أنّ الآية التي في سورة المائدة فحواها يدلّ على أنّها للولاة؛ فقال: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ لا لنفع، ويكون ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ مُتعلِّقًا بـ ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ أي: كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به في حال كونكم ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ أي: وسائط بين الخالق والخلق، أو بين النّبيّ ﷺ وأمّته كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٤).

---

(١) التّحرير والتنوير، ١٧/١٨ .
(٢) سورة المائدة، آية رقم: ٨ .
(٣) سورة النّساء، آية رقم: ١٣٥ .
(٤) سورة البقرة، من الآية رقم: ١٤٣ .

فالقائم بتنفيذ أحكام الله تعالى بين خلقه إذا وفّى ما عليه من حقّه، فهو شهيد على من وَلِيَه، والرّسول ﷺ شهيد عليه بما نقله إليه، والدّليل على أنّ الخطاب لولاة الأحكام قوله بعده: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وذلك عام في المخالفين من أهل الأديان والموافقين مِمَّن حَصَلَت لهم بغضة وعداوة، أي: اعدلوا على الوليّ والعدوّ عدلاً واحدًا.

وقيل في هذه الآية: إنها أيضًا في الشّهادة في الحقوق، وقيل في الشّهادة لأمر الله تعالى بأنّه حقّ، وقيل: معناه قوموا في كلّ ما يلزمكم القيام فيه من الأمر بالمعروف والعمل به والنّهي عن المنكر وتجنّبه.

أمّا آية سورة النّساء فالشّهادة فيها أمر الله ﷻ من عنده شهادة أن يقوم بالحقّ فيها، ويشهد لله تعالى على كلّ من عنده حق لغيره يمنعه إيّاه حتّى يصل إليه؛ فقال: قوموا بالقسط أي: بالعدل في حال شهادتكم لله على كلّ ظالم حتى يُؤخَذ الحقّ منه، فقدم ﴿بِالْقِسْطِ﴾؛ لأنّه من تمام ﴿قَوَّامِينَ﴾ إذ فعله يتعدّى إلى مفعوله بالياء، وأمّا ﴿شُهَدَاءَ﴾ فإنّها إذا كانت حالًا من الضّمير في ﴿قَوَّامِينَ﴾ فإنّ حقّها أن تجيء بعد تمام ﴿قَوَّامِينَ﴾، وكذلك إن كانت خبرًا ثانيًا، وإن كانت صفة لـ﴿قَوَّامِينَ﴾ فإنّ حقّها أن تجيء بعدها.

وأمّا قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ بعد ﴿شُهَدَاءَ﴾ فمُتعلِّقة بالشّهادة، كأنّه قال: كونوا شهداء لله لا للهوى والميل إلى ذوي القربى، والدّليل على ذلك أنّه قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ وشهادة الإنسان على نفسه أن يُقِرَّ بالحق لخصمه، أي افعلوا ذلك لله وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم.

وقوله ﷻ: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ أي: إن يكن من على الحق على أحد هذين الوصفين فانتهوا في أمره إلى أمر ما أمر الله تعالى به، ولا يحملنّكم

(١) سورة المائدة، من الآية رقم: ٨ .

الإشفاق من فقره على محاباته ولا يدعونكم غنى الغني إلى مداراته، فإنّ الله – تعالى – أولى بالنّظر لهما، ولجميع عباده منهم لأنفسهم ولغيرهم.

وقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ أي: كراهة أن تعدلوا ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ ألسنتكم بالشّهادة ولم تُفصِحُوا بها ولم تقوموا بما يجب عليكم فيها أو تتركوا ما يلزمكم منها، فإنّ الله عليم بعملكم وهو مجاز لكم على فعلكم، وقيل: تلووا بمعنى تمطلوا، من لويت الغريم إذا دفعته كأنّه قال: إن تدفعوا الشّهادة ولم تؤدّوها وقت الحاجة إليها.

ومن قرأ ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ بضم اللام وواو واحدة فالمعنى: إن تلوا أمر النّاس من الولاية، أو تتركوه، ومن هنا اتّضح سرّ اختصاص كل آية بما ورد فيها، والله أعلم [١].

فالحاصل إذن: أنّ "قوله تعالى في سورة النّساء: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ وفي المائدة: ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾؛ لأنّ لله في هذه السّورة متصل ومُتعلِّق بالشّهادة بدليل قوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي: ولو تشهدون عليهم، وفي المائدة منفصل ومُتعلِّق بـ ﴿قَوَّامِينَ﴾ والخطاب للولاة بدليل قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾"[٢].

ولا يفوتنا أن نُبيِّن مدار السّورتين وما بُنِيَتا عليه من سياق وأثر ذلك في بيان السرّ من التّقديم والتّأخير في موضعي السّورتين؛ "فقوله تعالى في سورة

(١) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، ١/٤١٩-٤٢٤، بتصرّف.
(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، ص٩٨ .

النّساء: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ وفى المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ فقدَّم فى آية النّساء قوله: ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ وأخَّر فى المائدة؛ فيُسأَل عن وجه ذلك؟ والجواب عنه، والله أعلم: أنّ الآيات المتّصلة بآية سورة النّساء مبنية على الأمر بالعدل والقسط، قال تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1] الآية، وقال بعد: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ﴾[2] ثمّ قال: ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾[3]، وتوالت الآى بَعْد على هذا المعنى؛ فقدَّم قوله: ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ ليناسب ما ذُكِر.

وأمّا آية المائدة فثبت قبلها الأمر بالطّهارة، ثمّ تذكيره سبحانه بتذكّر نعمه، والوقوف مع ما عَهِد به إلى عباده، والأمر بتقواه فناسبه قوله: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ ثمّ أتبع بما بُنِى على ذلك من الشّهادة بالقسط"[4].

---

(١) سورة النّساء، من الآية رقم: ١٢٣ .
(٢) سورة النّساء، من الآية رقم: ١٢٧ .
(٣) سورة النّساء، من الآية رقم: ١٢٧ .
(٤) ملاك التّأويل، ١/١١١، بتصرّف.

المطلب السّادس: متشابه اللفظ في مجال الشّكر:

الشّكر: كلّ ما هو جزاء للنّعمة عرفًا[١]، يقول الإمام الشّوكاني في تفسيره: "والشّكر لله الثّناء عليه في مقابلة النّعمة، وطاعته فيما أمر به"[٢].

وقد تعدّدت الآيات التي تشابهت في مجال الشّكر في القرآن الكريم، والتي منها ما جاء في قوله تعالى من سورة النّمل: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣]؛ فقد تشابهت بنفس اللفظ مع قوله سبحانه في سورة الأحقاف: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤].

فللسّائل أن يسأل عن سبب التكرار في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ في الآيتين بنفس اللفظ؟

والجواب، والله أعلم: أنّه وإن تكرّر ذلك في الآيتين فإنّ سبب الشّكر فيهما مختلف، وفرق بين شكر وشكر؛ فشكر نبيّ الله سليمان عليه السلام في الآية الأولى كان عن تعليم الله له وتفهيمه لغة الطّير؛ حتى سمع نملة في واد النّمل تعظ

---

(١) الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، ص٥٢٣ .
(٢) فتح القدير، للإمام: الشّوكاني اليمني (المتوفّى: ١٢٥٠هـ)، ٢٧٣/٤، طبعة: دار ابن كثير، ودار الكلم الطّيّب - دمشق، بيروت.
(٣) سورة النّمل، آية رقم: ١٩ .
(٤) سورة الأحقاف، آية رقم: ١٥ .

إخوانها أن يدخلوا مساكنهم خوفًا من هلاكهم من جيش سليمان عليه السلام وجنوده من الإنس والجنّ والطّير، وقد سار في مسيرة كبيرة وهم لا يشعرون بالنّمل لصغر حجمه؛ فحينها شكر نبيّ الله سيمان عليه السلام ربّه وأحسنّ بنعم الله عليه، وتوجّه إليه بالدّعاء أن يُلهِمَه ويُوَفِّقَه إلى شكره على نعمه عليه وعلى والديه، وللعمل على مرضاته، وأن يُدخله الجنّة مع عباده الصّالحين.

أمّا الشّكر في آية الأحقاف فهو مثل ضربه الله – تعالى – للمؤمن الصّالح والولد البارّ، ذالكم أنّه إذا بلغ مبلغ الرّجال أعلن إسلامه لله ﷻ، واستشعر أفضال والديه عليه، وبخاصّة الأمّ التي قاست ما قاست من شدّة وألم في الحمل والوضع والرّضاع ثلاثين شهرًا، وفي تربيته إلى أن بلغ مبلغ الرّجال؛ فحينها يدعو الله – تعالى – أن يُلهِمَه شكر نعمه، ويعينه على العمل الصّالح الذي يرضاه، ويرزقه الذّرّيّة الصّالحة؛ فقد تاب إلى ربّه من كلّ ذنب، وأسلم نفسه إليه.

وجاء في هذا المعنى أيضًا في سورة النّمل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[1] مع قوله ﷻ من سورة لقمان: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[2].

فللسّائل أن يسأل عن سبب تكرار الشّكر في الآيتين، والتّعبير بالفعل المضارع في جانب الشّكر وبالماضي في جانب الكفر، والعدول عن الإضمار

(١) سورة النّمل، آية رقم: ٤٠ .
(٢) سورة لقمان، آية رقم: ١٢ .

إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ دون أن يقول: فإنّه غَنِيٌّ كَرِيمٌ؟

ولعلّ جواب الأوّل، والله أعلم: أنّ الآيتين يوهم ظاهرهما التّكرار، وبقليل من التأمّل ندرك أنّ مقول القول فيهما مختلف، فكلّ شكر جاء مناسبًا لسياقه ومَا قِيل له؛ فالآية الأولى القائل فيها هو نبيّ الله سليمان عليه السلام بعدما أتاه الهدهد بخبر ملكة سبأ باليمن وكانت هي وقومها يعبدون الشّمس من دون الله، وكان لها سرير للملك عظيم..؛ فعرض على جنوده أن يأتيه بعضهم بعرشها؛ فقال رجل منهم ذو قوة روحيّة وعلميّة: أنا آتيك به قبل أن ترتد أجفان عينك إليك إذا نظرت لشيء؛ فدعا الله وأتاه بسرير العرش؛ فشكر نبيّ الله عليه السلام ربّه على هذا الجند المزوّد بالقوّة والعلم حينما رأى العرش ثابتًا عنده غير مضطّرب، وعدّ ذلك من نعم الله ﷻ عليه ليختبره أيؤدي حقّ النّعمة بالشّكر؛ فيزيدها الله ﷻ عليه، أم يكفر بها فيمحوها وينقصها، والله ﷻ على كلّ حال غنيّ عن شكر الشّاكرين كريم الإنعام على خلقه، ورحم الله صاحب "التّحرير والتّنوير" حينما قال في حقّ نبيّ الله سليمان عليه السلام: "وضرب حكمة خُلُقيَّة دينيّة وهي: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾؛ فكلّ متقرّب إلى الله بعمل صالح يجب أن يستحضر أنّ عمله إنّما هو لنفسه يرجو به ثواب الله ورضاه في الآخرة، ويرجو دوام التّفضل من الله عليه في الدّنيا، فالنّفع حاصل له في الدّارين ولا ينتفع الله بشيء من ذلك"(١).

وأمَّا الآية الثّانية ففي حقّ لقمان الحكيم فهو عبد صالح من عبيده الصّالحين أتاه الله الفقه في الدّين وسلامة العقل والإصابة في القول، وأمره – تعالى – بشكره على هذه النّعم؛ ومَن يشكر لربه فإنّما يعود نَفْع ذلك عليه، ومن جحد نِعَمَه فإنّ الله غني عن شكره، كريم الإنعام على خلقه.

(١) التّحرير والتّنوير، ٢٧٢/١٩ .

أمّا عن سبب التّعبير بالفعل المضارع في جانب الشّكر وبالماضي في جانب الكفر: "فقد عبّر بالفعل المضارع؛ لتجدّد واستمرار شكر الشّاكرين "وللإشارة إلى أنّ من شأن الشّاكرين أنّهم دائمًا على تذكّر لنعم الله- تعالى-، وإذا ما غَفِلُوا عن ذلك لفترة من الوقت، عادوا إلى طاعته – سبحانه – وشكره.

وعبَّر في جانب الكفر بالفعل الماضي؛ للإشعار بأنّه لا يصحّ ولا ينبغي من أيّ عاقل، بل كلّ عاقل عليه أن يهجر ذلك هجرًا تامًّا، وأن يجعله في خبر كان"(١).

وأمّا عن العدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ دون أن يقول: فإنّه غَنِيٌّ كَرِيمٌ؛ "فلتأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله: فضل ربي"(٢).

وفي ذات السّياق تشابه قوله ﷻ من سورة النّحل: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٣)مع قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٤)وقوله عزّ من قال في سورة السّجدة: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٥)، وقوله في سورة الملك: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٦).

---

(١) التّفسير الوسيط، ١١٨/١١، بتصرّف.
(٢) التّحرير والتّنوير، ٢٧٢/١٩ .
(٣) سورة النّحل، آية رقم: ٧٨ .
(٤) سورة المؤمنون، آية رقم: ٧٨ .
(٥) سورة السّجدة، آية رقم: ٩ .
(٦) سورة الملك، آية رقم: ٢٣ .

"ورد في آية سورة النّحل ترجّي "شكرهم" في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، وورد فيما سواها نفي شكرهم على المعروف أو تقليله بمقتضى اللفظ في قوله سبحانه: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ مع اتّحاد المقصود من إبداء عظيم النّعمة بالإسماع والإبصار، فللسّائل أن يسأل عن الفرق؟

والجواب، والله أعلم: أنّ آية النّحل مبتدأة بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾؛ فناسب هذا التّذييل لكونه وصف حال قبل تعيين التّكليف، وجاء التّرجي لأن يكون منهم الشّكر؛ لذكره إيّاهم في حال لم يتهيؤوا فيها بعد لقبول أمر أو نهي أو إعراض عن ذلك، ولا يتعلّق بهم التّكليف؛ فناسب هذا ذكر التّرجي.

أما الآيتان بعد فالإخبار فيهما عن أحوال من استوفى سنّ التكليف وعقل الخطاب وفهمه، وتكرّر عليه التّذكار فلم يجد عليه شيئا، ألا ترى أنّ قبل آية المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[1]إلى ما اتّصل بهذا؛ فقد صدر عن هؤلاء التّعامي فخالف الوارد في آية النّحل؛ فناسب ذلك هنا نفي شكرهم.

وأمّا آية الملك المخاطب بها مَنْ قِيْل له تعريفًا وتوبيخًا: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾[2]إلى قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[3]، والآي مشيرة إلى موالاة إنعامه سبحانه على عباده وإدرار أرزاقهم ونصرتهم ومع ذلك يجحده

(١) سورة المؤمنون، آية رقم: ٧٦ .
(٢) سورة الملك، آية رقم: ٢٠ .
(٣) سورة الملك، آية رقم: ٢٣ .

المشركون؛ فناسب أن نفى تعالى شكرهم؛ فقد وضح التّناسب في هذه الآي، ووردت كلّ واحدة منها على ما يجب، وإن عكس الوارد غير مناسب"[١].

وأمّا قوله عزّ من قال في سورة السّجدة: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾؛ فقد نفى الشّكر أو قلّله؛ لبيان موقف بني آدم العام من قضيّة الشّكر منذ خلقتهم الأولى إلّا ما ندر؛ فعلى الرّغم من أنّه – تعالى – "عدّل خلق الإنسان، وسوّى شكله، وناسب بين أعضائه، ونفخ فيه من روحه، وخلق له السّمع والأبصار والفؤاد تكميلًا لنعمته عليه، وتتميمًا لتسويته لخلقته حتى تجتمع له النّعم، فيَسمَع كلّ مسموع، ويُبصِر كلّ مُبصِر، ويَتعقَّل كلّ مُتعَقِّل، ويفهم كلّ ما يُفهَم، ومع ذلك قليلًا ما يشكر الإنسان ربّه على نعمائه"[٢]، ورحم الله الدكتور/ طنطاوي حينما بيّن هذا في تفسيره؛ فقال: "وهكذا بنو آدم– إلّا من عصم الله، أوجدهم الله – تعالى – بقدرته، وسَخَّر لمنفعتهم ومصلحتهم ما سَخَّر من مخلوقات، وصانهم في كلّ مراحل خلقهم بأنواع من الصّيانة والحفظ ...، ومع ذلك فقليل منهم هم الذين يشكرونه ﷻ على نعمه، وصدق ﷻ حيث يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾"[٣]"[٤]؛ فالذي جعل الله له السّمع والبصر والفؤاد وما شكر الله على نعمائه؛ فكأنّه ضيّعها وأذهب فائدتها، والله أعلم.

وتشابه كذلك بنفس اللفظ في مجال الشّكر قوله تعالى من سورة يونس: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[٥]، مع قوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) ملاك التّأويل، ٣٠٤/٢، ٣٠٥، بتصرّف.
(٢) فتح القدير، ٢٨٨/٤، ٢٨٩، بتصرّف.
(٣) سورة سبأ، من الآية رقم: ١٣ .
(٤) التّفسير الوسيط، ١٤٧/١١ .
(٥) سورة يونس، آية رقم: ٦٠ .

﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[1] وقوله ﷻ في سورة غافر: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[2].

"فللسّائل أن يسأل فيقول: كيف أظهر النّاس فى موضع الإضمار فى سورة البقرة وغافر، وقد أضمر فى موضع الإظهار فى سورة يونس، وهل كان جائزًا وقوع هذا موضع ذاك؟

والجواب أن يُقَال: إنّ كلّ موضع يحتمل الإضمار لقرب الذكر، ويحتمل الإظهار لتعظيم الأمر، وذِكْر أخصّ الأسماء المقصود بالتّقريع والتّفنيد فإنّه يُحمَل على ما يلائم الآيات المتقدّمة له ليكون قد جمع إلى صحّة المعنى واللفظ مشاكلة ما قبله من الآي؛ فأمّا قوله تعالى فى سورة المؤمن "غافر": ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ بعد قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ولو قال: ولكنّ أكثرهم لا يشكرون؛ لقرب ذكر النّاس لكان من الجائز الحسن فإنّه محمول على الآيات التى قبله، وهى قوله: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3] وقال بعده: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[4] ثم جاء قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾، ولكنّه تعالى أظهر

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٤٣ .
(٢) سورة غافر، آية رقم: ٦١ .
(٣) سورة غافر، آية رقم: ٥٧ .
(٤) سورة غافر، آية رقم: ٥٩ .

ذكر النّاس كما أظهر في الآيتين قبلها؛ للمشاكلة والملاءمة، وليس كذلك الأمر في سورة يونس ﷺ؛ لأنّ الكلام هناك بني على الإضمار؛ لقرب الذكر"[١].

وأمّا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾؛ "فقد أظهر النّاس في قوله: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ في مقام الإضمار لمزيد التّشنيع"[٢]؛ على مَن فرّوا من القتال في سبيل الله، أو من الطّاعون خوفًا من الموت؛ فأماتهم الله ﷻ دفعة واحدة عقابًا لهم على فرارهم من قدره، ثمّ بعد ذلك أحياهم؛ ليستكملوا آجالهم ويتّعظوا ويتوبوا، والله ﷻ ذو فضل على النّاس لكثرة نعمه، ومع ذلك لا يقابلون هذه النّعم بشكر الخالق – سبحانه –، والله أعلم.

وبالجملة: فإنّ تكرار الشّكر في القرآن يدلّ دلالة قاطعة على عظيم هذا الخلق، والتّأكيد عليه، وترغيب الناس على التحلّي به مع الله على ما أولانا من النّعم التي لا تحصى ولا تعدّ، ومع الوالدين؛ لكثرة إحسانهما إلينا، ومع من أحسن إلينا من الخلق.

المطلب السّابع: متشابه اللفظ في مجال الإحسان:

الإحسان: هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به، كإطعام الجائع[٣]، وقد تشابهت لفظيًّا في مجال خلق الإحسان أربع آيات في

---

(١) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، ١١٢٨/١- ١١٣١، بتصرّف.
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، للعلّامة: الآلوسي (المتوفّى: ١٢٧٠هـ)، ٥٥٣/١، طبعة: دار الكتب العلميّة – بيروت، وإرشاد العقل السّليم، ٢٣٨/١، بتصرّف.
(٣) ينظر: الكليّات للكفوي، ص٥٣ .

القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى في سورة النّحل: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾[1]؛ فقد تشابه مع قوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

فقد جاء قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ مكرّرًا في سورة النّحل والزّمر بنفس اللفظ والمعنى، وهو: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ في أقوالهم وأفعالهم وزيّنوها بالإخلاص التام لله ربّ العالمين؛ لهم جزاء ذلك ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ في الدّنيا من صحّة ورزق ونصر وعيشة هنيّة، ولله أعلم.

ولعلّ السّبب في هذا التّشابه هو "التّنبيه على المبادرة بالحسنات في الحياة الدّنيا قبل الفوات، والتّنبيه على عدم التّقصير في ذلك"[3]؛ فإنّ جزاء ذلك الحياة الطيّبة في الدّنيا والجنّة في الآخرة، وأنّه "لا عذر للمُفرِّطين في الإحسان البتّة، حتى إن اعتلّوا بأوطانهم وبلادهم، وأنّهم لا يتمكّنون فيها من التوفّر على الإحسان، وصرف الهمم إليه؛ قيل لهم: ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ وبلاده كثيرة، فلا تجتمعوا مع العجز، وتحوّلوا إلى بلاد أخرى، واقتدوا بالأنبياء والصّالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم؛ ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم"[4].

---

(١) سورة النّحل، آية رقم: ٣٠ .
(٢) سورة الزّمر، آية رقم: ١٠ .
(٣) التّحرير والتّنوير، ٣٥٤/٢٣ .
(٤) مفاتيح الغيب للإمام الرّازي (المتوفّى: ٦٠٦هـ)، ٤٣٠/٢٦، ٤٣١، بتصرّف، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت.

وفي نفس السّياق أيضًا جاء قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، وتشابه بنفس المعنى مع قوله عزّ من قال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

فقد جاءت التّوصية بالإحسان إلى الوالدين وببرّهما في حياتهما وبعد مماتهما، وبخاصّة الأمّ التي تعبت في الحمل والولادة والفطام والرّضاعة والتّربية، ولكن مع قوله تعالى في العنكبوت: ﴿ حُسْنًا ﴾، وفي الأحقاف: ﴿ إِحْسَٰنًا ﴾، ولم يَرد شيء من ذلك في سورة لقمان.

ولعلّ السّبب في هذا: "أنّ بناء آية العنكبوت على قصّة سعد بن أبي وقاص ﷺ وما كان من فعل أمّه وحلفها على ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظلّ حتى يرجع سعد إلى دينها، والقصّة مشهورة؛ فنزلت الآية[4]، ولمّا لم يُقصَد

---

(١) سورة العنكبوت، آية رقم: ٨ .
(٢) سورة الأحقاف، آية رقم: ١٥ .
(٣) سورة لقمان، آية رقم: ١٤ .
(٤) يراجع: أسباب النّزول للواحدي، ص٣٥١، وأخرج هذا السّبب الإمام مسلم بلفظه في صحيحه من حديث مصعب بن سعد – رضي الله عنهما -، كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقّاص ﷺ، ١٨٧٧/٤، ورقمه: ١٧٤٨، ولفظه: عن "مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا، قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي

غير هذا اكتفى بالتّنبيه على الإحسان بهما ما لم يدعوا معًا أو أحدهما إلى الشّرك، ولَمَّا كان حكمًا لا يخصّ أبًا من أمّ لم يحتج إلى التّنصيص على أحدهما؛ فوقع الاكتفاء هنا بقوله: ﴿ حُسْنًا ﴾؛ فانتصب على الحال.

وأمّا ورود ﴿ إِحْسَٰنًا ﴾ في سورة الأحقاف؛ فلما قُصِد فيها من البسط والإطالة حسبما تَبيَّن بعد"[1]من سرد أحوال الأمّ ومشقّتها مع ولدها في الحمل والولادة والفطام والتّربية حتى صَيَّرتهم شبّانًا؛ ممّا يستدعي كثرة الإحسان حسب كلّ مشقّة وحالة، ولأنّ هذه الآية في المؤمنين وهذا يستدعي مزيد إحسان منهم للوالدين، وأمّا سابقتها ففيمن كان مُشركًا وأسلم؛ وهو سعد بن أبي وقاص ﷺ وحده.

وأمّا قوله ﷻ في سورة لقمان: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾؛ فلم يرد فيها ذكر للإحسان؛ "لأنّها اعتراض بين كلام لقمان لأبنه؛ ولقوله ﷻ بعده: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾"[2]؛ فلم يحتج إلى التّقديم بالإحسان؛ لأنّ شكر الوالدين فيما ذكره بعد معناه: أن يذكر الولد لوالديه ما تحمّلاه من تعب ومشقّة من أجله؛ فيُحسِن إليهما؛ وهذا هو الإحسان، والله أعلم.

وبهذا قارئي الكريم يستبين لنا: معنى متشابه اللفظ في اللغة والاصطلاح، وتعدّد الآيات المتشابهة في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة وتنوّعها؛ فقد

الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾" - [سورة العنكبوت، آية رقم: ٨] – (صحيح مسلم - المتوفّى: ٢٦١ هـ -)، طبعة: دار إحياء التّراث العربي –).

(١) ملاك التّأويل، ٣٨٧/٢، ٣٨٨، بتصرّف.

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، ص١٩٧، بتصرّف واختصار.

شملت جلّ الأخلاق، والوقوف على توجيه الفرق بين الآيات المتشابهة في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، ووجه الحكمة في كلّ موضع، وبلاغة التّكرار في متشابه لفظ القرآن في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، وأنّه ما من تكرار إلا وله فائدة وعلّة ومِنْ ورائه حكمة ..، والله أعلم.

***

خاتمة:

تمّ البحث بفضل الله وكرمه ومنّه، وهذه أهمّ النّتائج والتوصيّات التي توصّلت إليها من خلال البحث:

❖ النّتائج:

١- الوقوف على معرفة معنى متشابه اللفظ في اللغة ولاصطلاح.
٢- الوقوف على متشابه لفظ القرآن في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة.
٣- تنوّع مجالات الآي المتشابهة في الأخلاق الإنسانيّة المحمودة؛ فقد شملت جلّ الأخلاق.
٤- الوقوف على توجيه الفرق بين الآيات المتشابهة في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، ووجه الحكمة في كلّ موضع.
٥- بلاغة التّكرار في متشابه لفظ القرآن في مجالات الأخلاق الإنسانيّة المحمودة، وأنّه ما من تكرار إلا وله فائدة وعلّة ومِنْ ورائه حكمة.

❖ أهمّ التّوصيّات:

١- يحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من العناية والدّراسة.
٢- يمكن عمل دراسات عليا (ماجستير، ودكتوراه) في هذا الباب.
٣- أُوصِي بجمع جميع الآي المتشابهة في القرآن من أوّله إلى آخره، ودراستها دراسة تحليليّة؛ لأنّها متفرّقة في ثنايا كتب المتشابه والتّفاسير، ولم يحو أيّ كتاب منها حتّى الآن على توجيهات لجميع مسائل المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
٤- أُوصِي بتوجيه متشابه لفظ القرآن الذي لم يُوَجَّه من قبل.
٥- بمثل هذا الموضوع يُرَدّ على المُتخَرِّصين على القرآن الكريم والمُفتَرِين عليه؛ بسبب ما فيه من متشابه لفظ.

***

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- القرآن الكريم.
- مراجع التّفسير:

١- إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلّامة: أبي السّعود (المتوفّى: ٩٨٢هـ)، النّاشر: دار إحياء التّراث العربي – بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

٢- تفسير القرآن العظيم، للعلّامة: ابن كثير (المتوفّى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، طبعة: دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة: الثّانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- تفسير المراغي، (المتوفّى:١٣٧١هـ)، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطّبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٤- التّحرير والتّنوير، للعلّامة: الطّاهر بن عاشور (المتوفّى: ١٣٩٣هـ)، طبعة: الدّار التّونسية للنّشر – تونس، ١٩٨٤م.

٥- التفسير الوسيط للعلّامة: طنطاوي، (المتوفّى: ١٤٣١ هـ) ، طبعة: دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجّالة – القاهرة، الطّبعة: الأولى، أجزاء ١ – ٣: يناير ١٩٩٧م، وجزء ٤: يوليو ١٩٩٧م، وجزء ٥: يونيو ١٩٩٧م، وأجزاء ٦ – ٧: يناير ١٩٩٨م، وأجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨م، وجزء ١٥: مارس ١٩٩٨م.

٦- جامع البيان، للعلّامة: أبي جعفر الطّبري (المتوفّى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، طبعة: مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧- الجامع لأحكام القرآن، للعلّامة: القرطبيّ (المتوفّى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصريّة - القاهرة، الطّبعة: الثّانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، للعلّامة: الآلوسي (المتوفّى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، طبعة: دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٩- فتح القدير، للإمام: الشّوكاني اليمني (المتوفّى: ١٢٥٠هـ)، طبعة: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيّب - دمشق، بيروت، الطّبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

١٠- مفاتيح الغيب للإمام الرّازي (المتوفّى: ٦٠٦هـ)، طبعة: دار إحياء التّراث العربي - بيروت، الطّبعة: الثّالثة - ١٤٢٠هـ.

▪ مراجع علوم القرآن:

١- أسباب نزول القرآن، للعلّامة: الواحدي، (المتوفّى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، طبعة: دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٢- أسرار التّكرار في القرآن المسمّى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، للعلّامة: الكرماني، (المتوفّى: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التوّاب عوض، طبعة: دار الفضيلة.

٣- البرهان في علوم القرآن، للعلّامة: الزّركشي (المتوفّى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطّبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٤- درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، للعلّامة: الخطيب الإسكافي (المتوفّى: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق د: محمّد مصطفى آيدين، طبعة: جامعة أمّ القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥- ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التّنزيل للعلّامة: ابن الزّبير الثّقفي الغرناطي، (المتوفّى: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمّد علي الفاسي، طبعة: دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان.

▪ مراجع السّنة الشّريفة:

١- سنن التّرمذي، (المتوفّى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، طبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

٢- صحيح البخاري المتوفّى: (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر، طبعة: دار طوق النّجاة "مصوّرة عن السّلطانية بإضافة ترقيم: محمّد فؤاد عبد الباقي، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣- صحيح مسلم (المتوفّى:٢٦١هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت، بدون رقم الطّبعة وتاريخها.

٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعلّامة: إسماعيل العجلوني، (المتوفّى: ١١٦٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، طبعة: المكتبة العصريّة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥- المستدرك على الصحيحين، للعلّامة: الحاكم (المتوفّى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلميّة – بيروت، الطّبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- مراجع اللغة:

١- رسائل الجاحظ، (المتوفّى: ٢٥٥هـ)، طبعة: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢- الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، للعلّامة: أبي البقاء (المتوفّى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمّد المصري، طبعة: مؤسسة الرّسالة – بيروت.

٣- لسان العرب، للعلّامة: ابن منظور (المتوفّى: ٧١١هـ)، طبعة: دار صادر – بيروت، الطّبعة: الثّالثة - ١٤١٤هـ.

٤- معجم مقاييس اللغة للإمام ابن فارس الرّازي، (المتوفّى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، طبعة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥- مجمع بحار الأنوار في غرائب التّنزيل ولطائف الأخبار، للعلّامة: جمال الدّين، محمد طاهر الكجراتي (المتوفّى: ٩٨٦هـ)، طبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، الطّبعة: الثّالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- مراجع عامّة:

- حقيقة القومية العربيّة وأسطورة البعث العربي، للشّيخ: محمّد الغزالي، طبعة: نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة: الثّالثة، أكتوبر ٢٠٠٥م.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

♣ alquran alkarim.

♣ marajie alttfsyr:

1-'iirshad aleaql alsslym 'iilaa mazaya alkitaab alkarim, llellamt: 'abi alssewd (almtwffa: 982h), alnnashr: dar 'iihya' alttrath alearabii - bayrut, bidun raqm altabeat watarikhiha.

2-tafsir alquran aleazim llellamt abn kathir (almtwffa: 774hi), tahqiqu: sami bin mhmmd salamata, tabeatun: dar tiibat llnnshr walttwzye, alttbet: alththanyt, 1420h - 1999m.

3-tafsir almaraghi, (almtwffa:1371h), tabeatu: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii wa'awladuh bimasri, alttbet: al'uwlaa, 1365h - 1946m.

4-altthryr walttnwyr, llellamt: alttahr bin eashur (almtwffa: 1393hi), tabeatu: alddar alttwnsyt llnnshr - tunis, 1984m.

5-altafsir alwasit llellamt: tantawi, (almtwffa: 1431 ha) , tabeatu: dar nahdat misr llttbaet walnnshr walttwzye, alfjjalt - alqahiratu, alttbet: al'uwlaa ،'ajza' 1 - 3: yanayir 1997ma, wajuz' 4: yuliu 1997m, wajuz' 5: yunyu 1997ma, wa'ajza' 6 - 7: yanayir 1998ma, wa'ajza' 8 - 14: fibrayir 1998ma, wajuz' 15: maris 1998m.

6-jamie albayan llellamt 'abi jaefar alttbry (almtwffa: 310hi), tahqiqu: 'ahmad mhmmd shakir, tabeatun: mwssst alrrsalt, alttbet: al'uwlaa, 1420h - 2000m.

7-aljamie li'ahkam alqurani, llellamt: alqrtby (almtwffa: 671hi), tahqiqu: 'ahmad albarduni, wa'iibrahim 'atfish, tabeata: dar alkutub almsryt - alqahiratu, alttbet: alththanyt, 1384h - 1964m.

8-ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walssbe almathani, llellamt: alalwsi (almtwffa: 1270hu), tahqiqu: eali eabd albari etyt, tabeata: dar alkutub alelmyt - bayrut, alttbet: al'uwlaa, 1415hi.

9-fath alqudiri, lil'iimami: alshshwkany alyamanii (almtwffa: 1250hi), tabeata: dar abn kathirin, wadar alkalm altyb - dimashqa, bayrut, alttbet: al'uwlaa - 1414hi.

10-mafatih alghayb lil'iimam alrrazy (almtwffa: 606hi), tabeatun: dar 'iihya' alttrath alearabii - bayruta, alttbet: alththaltht - 1420hi.

♣ marajie eulum alqurani:

1- **'asbab nuzul alqurani, llellamt: alwahidi, (almtwffa: 468hi), tahqiqu: kamal basyuni zighlul, tabeata: dar alkutub alelmyt - bayrut, alttbet: al'uwlaa, 1411hi.**
2-'asrar alttkrar fi alquran almsmma: alburhan fi tawjih mutashabih alquran lima fih min alhjjt walbayani, llellamt: alkarmani, (almtwffa: nahw 505h), tahqiqu: eabd alqadir 'ahmad eataa, murajaeat wataeliqa: 'ahmad eabd altwwab eiwad, tabeata: dar alfadilati.
3-alburhan fi eulum alqurani, llellamt: alzzrkshy (almtwffa: 794hu), tahqiqu: mhmmd 'abu alfadl 'iibrahim, tabeata: dar 'iihya' alkutub alerbyt eisaa albabaa alhalabii washurakayihi, alttbet: al'uwlaa, 1376h - 1957m.
4-drrt alttnzyl wghrrt alttawyl, llellamt: alkhatib al'iiskafiu (almtwffa: 420hi), dirasat watahqiq wataeliq du: mhmmd mustafaa aydin, tabeatun: jamieat am alquraa, altabeatu: al'uwlaa, 1422h - 2001m.
5-milak alttawyl alqatie bidhawi al'iilhad walttetyl fi tawjih almutashabih allafz min ay alttnzyl llellamt: aibn alzzbyr alththqfy algharnati, (almtwffa: 708ha), wade hawashihi: eabd alghani mhmmd eali alfasi, tabeat: dar alkutub alelmyt, bayrut - lubnan.

♣ marajie alssnt alshshryft:

1-sunan alttrmdhy, (almtwffa: 279hi), tahqiqu: bashaar ewwad maerufun, tabeatun: dar algharb al'iislamii - bayrut, 1998m.
2-sahih albukharii almtwffa: (256ha), tahqiqu: mhmmd zuhayr bin nasir, tabeat: dar tawq alnnja "mswwrt ean alssltanyt bi'iidafat tarqimi: mhmmd fuad eabd albaqi, alttbet: al'uwlaa, 1422hi.
3-sahih muslim (almtwffa:261h), tahqiqu: mhmmd fuaad eabd albaqi, tabeata: dar 'iihya' alttrath alearabii - bayrut, bidun raqm alttbet watarikhiha.
4-kashf alkhafa' wamuzil al'iilbas, llellamt: 'iismaeil aleajluni, (almtwffa: 1162hi), tahqiqu: eabd alhamid bin 'ahmad bin

yusif bin handawi, tabeatu: almaktabat alesryt, alttbet: al'uwlaa, 1420hi- 2000m.
5-alimustadrak ealaa alsahihayni, llellamt: alhakim (almtwffa: 405hi), tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eataa, tabeata: dar alkutub alelmyt - bayrut, alttbet: al'uwlaa, 1411h - 1990m.

♣ marajie allughati:

1-rasayil aljahizi, (almtwffa: 255hi), tabeatun: maktabat alkhanji, alqahirati.
2-alkllyat muejam fi almustalahat walfuruq allghwyt, llellamt: 'abi albaqa' (almtwffa: 1094hi), tahqiqu: eadnan darwish - mhmmd almasri, tabeatu: muasasat alrrsalt - bayrut.
3-lisan alearabi, llellamt: abn manzur (almtwffa: 711hi), tabeatun: dar sadir - bayruta, alttbet: alththaltht - 1414hi.
4-muejam maqayis allughat lil'iimam abn faris alrrazy, (almtwffa: 395hi), tahqiqu: eabd alsslam mhmmd harun, tabeata: dar alfikri, 1399h - 1979m.
5-majmae bahaar al'anwar fi gharayib alttnzyl walitayif al'akhbari, llellamt: jamal alddyn, muhamad tahir alkajrati (almtwffa: 986ha), tabeatun: matbaeat majlis dayirat almaearif alethmanyt, alttbet: alththaltht, 1387h - 1967m.

♣ marajie eammt:

***haqiqat alqawmiat alerbyt wa'usturat albaeth alearabii, llshshykh: mhmmd alghazalii, tabeatu: nahdat misr llttbaet walnnshr walttwzye, alttbet: alththaltht, 'uktubar 2005m.**